رسالتان الى مقام الانتداب

من

مؤلفة «الفتاة والشيوخ» و«السفور والحجاب»

الآنسة

نظيرة زين الدين

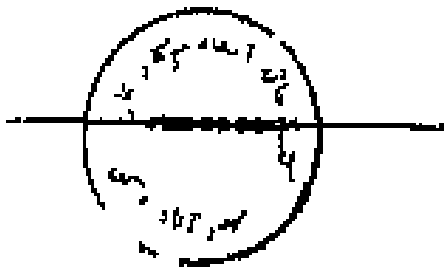

طبع في المطبعة الاميركانية ببيروت السنة ١٩٢٦

www.marefa.org

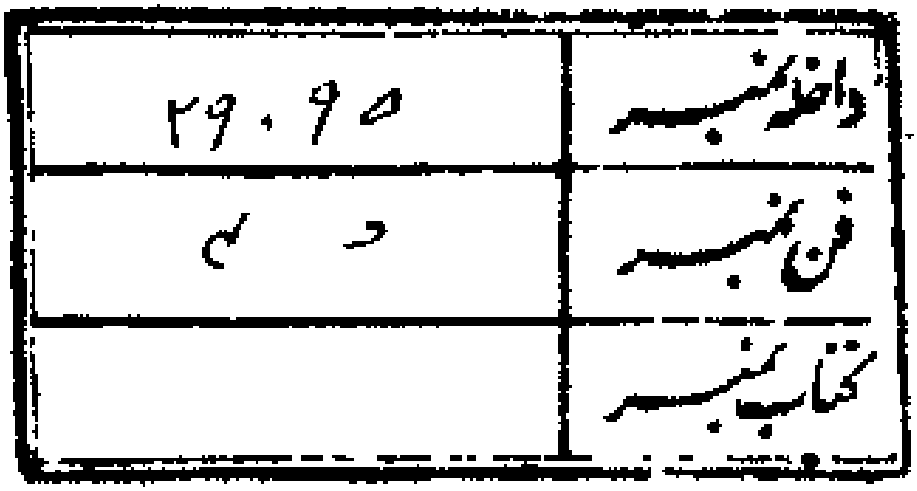

www.marefa.org

مقدمة

لامني بعض اخواني المعارضين لوماً شديداً على عرض كتابي « السفور والحجاب » ، لدى المقوض السامي لدولة الانتداب ، وبما اني اعتقد انّ ذلك مما يقتضيه واجب الجهر لدى العالمين بحقيقة الدين ، وواجب الصدع بالحق المبين ، ويدفعني اليه بمقتضى الحال دفاعي عن حقي وحق بنات جنسي ، وحبي لوطني وقومي وامتي وانا اريد لهم من الخير ما اريد لنفسي ، عرضت ايضاً لدى فخامته كتابي الجديد « الفتاة والشيوخ » .

وها انا ذا اعرض لدى الامة ترجمة الرسالتين اللتين عرضت بهما الكتابين ، ليرى الحق الذي اراه كلّ ذي عينين

نظيرة زين الدين

www.marefa.org

www.marefa.org

الرسالة الاولى

في

كتاب السفور والحجاب

الى فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية
في سوريا ولبنان وجبل الدروز
وبلاد العلويين

سيدي المفوض السامي

اني فتاة مسلمة لبنانية شرقية . مكنني اني من تحصيل العلوم ومن استعمال حريتي في الفكر والارادة والقول والعمل . فدرست بعقل حر مطلق من تأثير العادات والتقاليد مدنية الشرق واحواله الاجتماعية ، كما درست مدنية الغرب واحواله الاجتماعية . ودرست فيما درست من اصول دينا كل ما له علاقة بالمدنيتين ، وبقواعد الاجتماع فيهما ولا سيما ما له علاقة بحقوق المرأة وبالحرية والمساواة والاخوة درساً عميقاً دقيقاً . فكانت نفسي آسفة جداً حين رأيت ان مدنيتنا واصول اجتماعنا مبنية على عادات وتقاليد وبدع في الاجتهاد قديمة تخالف روح كتابنا وسنة نبينا ، وتخالف حكم العقل مخالفة ظاهرة لكل من عقل وتأمل . ذلك ما اوجب انحطاطنا الى الدرجة التي نرونا فيها . بل كادت نفسي تقع بسبب ما ذكرت في ظلمة اليأس ، لولا نور رجاء لمع لها من موافقة مدنية الغربيين وحريتهم واصول اجتماعهم لروح الكتاب والسنة ، وليس فيها الا ما يقتضيه العقل السامي المنزه عن الهوى . ذلك ما اتبعه الغربيون فوصلوا الى ما وصلوا اليه من الرقي والسعادة . فرأيت انا اذا اتبعنا ما اتبعوا بلغنا ما بلغوا ما نرجوه لنفسي لاهلي وبلادي

www.marefa.org

لم رأيت مدنية الغرب الحديثة ، وحريتها بأنواعها وقواعد الاجتماع فيه — ما عدا التبرج والرقص المفسد وتعرية النساء مقل صدورهن وأعضادهن — موافقة لكتابنا وسنة نبينا موافقة تامة ، وأنه لم يمنعنا عن هذه الحقيقة والعمل بمقتضاها إلا الفرض والغرور والهوى ، وجمود أصحاب القول من علمائنا على ما لا يصلح بالهوه في زماننا ، ومقاومتهم سنن التطور ، وإجمادهم عقول العامة من الأمة على ما ترتاح عقولهم ، مستمدين نفوذهم من قرون ، قوة السلطات المانعة التي كانت تظن جهل العامة وتروجها تحت كابوس التقاليد تأمن لتأييد نفوذها ، وقوة تكفيرهم كل من خالفهم في ما يبتدعون . وما زاد الطين بلة استحكام الفروق وسوء التفاهم بين المسلمين وغيرهم

تأملت وتأملت ، فبين لي أن أعظم داع لسوء التفاهم وعدم التفاهم والتآلف ، وأقوى عامل للانحطاط الحالي ، وامتناع الارتقاء الاستقلالي ، إنما هو تجسيم المسلمات مواهيم بمقتضى العقل والدين ، وحرمانهم الحرية بأسباب التخيل الخلقي والديني ، وسلبهم قوامهم وخصوصيتهم التي خولهم الله إياها ، والقائمون مستعبدات ذليلات في حركات الفناء

ولما رأيت في كتاب الله وسنة رسوله من أنوار الهدى المحجوبة وراء غيوم من غرائب التقاليد والبدع ما يملأ العالمين حرية ورقيا وسعادة وصلاحا ، ورأيت أم الحرية والمدنية والنور ، عصبة الحق في العالم ، تخفق راياتها فوق رؤوسنا ، شعرت بقوة كامنة في نفسي تحكمني بالحجة والبرهان من جلاء الحقائق ورفع الستار ، عن البصائر والأبصار . كيف لا وإنا متمسكة بكتاب الله وسنة رسوله ، وعلى يمني في الرعيل حرا مطلقا لا يخشى العار ، مشعلا أمامه مصابيح الهدى من تلك الأنوار . فكتبت سلسلة من المحاضرات والنظرات أعالج فيها مرضنا الاجتماعي الذي بيت قوة المرأة ويضر بالمسلمين خاصة وبالعالمين عامة ، نظرا إلى اشتراك المصالح في الدنيا وجمعتها في كتاب عنوانه « السفور والحجاب » ، ومرماه تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الإسلامي

فالأمور الاجتماعية التي تناولها البحث في كتابي وأيدتها إثباتا بالأدلة العقلية وبآيات كتاب الله وأحاديث رسوله أهمها ما يأتي :

أولا — إن تحجيب النساء في الإسلام ، لم يكن إلا عادة مضرة موروثة عن جهة الأصنام ، ولا يستند إلى دليل من أصول الدين . وإنه خال من كل فائدة ، ولا ينتج إلا الضرر والفساد في الأخلاق والانحطاط والفناء . ذلك بعكس السفور الذي يخلو من كل ضرر ولا ينتج إلا

www.marefa.org

الفائدة والصلاح في الاخلاق والرقي والسعادة . ان هذا الموضوع محور في كتابي والمواضيع الاخرى تدور حوله

ثانياً — ان حرية النساء والجماعين والرجال من عملات الذريعة المحمدية، وهما من اهم العوامل للتطور والصلاح ورقي الاخلاق وتهذيب الاداب في نفوس الرجال والنساء .

ثالثاً — ان الرجال ليسوا باكمل من النساء عقلاً ولا ديناً ، وليسوا احق بالحرية منهن . وما قال الرسول صلى الله عليه وسلم « اكثر اهل النار نساء » . — و « ساويوا بين اولادكم في العطية فلو كنت مفضلاً احداً لفضلت النساء »

رابعاً — وجوب تعليم الرجال والنساء تعليماً مشتركاً في مستوى واحد

خامساً — ان المرأة في شرع الله ، خلافاً لظن بعض الجهلاء وقول بعض الفقهاء ، بينة كاملة لا مستعبدة ناقصة

سادساً — ان الحكم في دين الاسلام ديموقراطي ، ويجب اشتراك الرجال والنساء في حق الانتخاب

سابعاً — ان اصلاح العيلة والمجتمع لا يحصل الا بعمل الرجال والنساء مشتركين في مستوى واحد ، اذ ان في كل من الفريقين نقصاً يجب ان يكمله الآخر

ثامناً — وجوب تعقل المسلم والمسلمة اصول دينها بنفسها ، وعدم جواز التقليد في دين الله ، والمساواة بين المسلم في الاجتهاد وادراك الحق وبيانه

تاسعاً — ان كلاً من المسلم والمسلمة حرٌ في فكره واراداته وقوله وعمله لا سيطر عليه في ذلك ، فليس للعقول ان تسيطر على عقول ، وليس للجاهلين سيطرة على من اراحوا النور ، وليس للمستورين سيطرة على من اراحوا الحجاب

عاشراً — ان الفرض الواجب اتباعه هو ما شرعه الله لا ما قاله الفقهاء ، وقد اخطأوا في كثير مما قالوا ، وجلّ شرع الله عن ذلك

حادي عشر — ان الله رتب نصيب المرأة ، وشطرها من الفقه اعطاؤها ، وانها جل جلاله وصلى الله عليه وسلم نصرا الحرية والاخوة والمساواة والتطور حسب مقتضى الازمنة ، وذلك

www.marefa.org

الفطر من الفقهاء اعلم ذلك

الثاني عشر — ان عمل العامة من المسلمين خلافاً لشرع الله بيدع بعض الفقهاء وبالاباطيل والتفور ، واهامهم لباب الامور ، من اسباب انحطاطهم

ثالث عشر — ان القرآن مصباح الهدى ، ومنار الحكمة ، ودليل المعرفة ، ولكن المفسرين لم يدركوا لبابه بل اكثروا من النقل واتباع الاقاويل ، واخطأوا في التفكير ، فجعلوا بذلك في حال ضيق عسير ، وابتدعوا بدعاً مظلمة تراها عيون الناقدين تمحق دينا المنير

ان كل مفسر للقرآن في القديم عدّ نفسه ملتزماً في الدين ، ومفترعاً ، وطبيباً ، ولغوياً ، وطبيعياً ، وفلكياً ، ورياضياً ، وتاريخياً ، واجتماعياً ، وسياسياً ، وجغرافياً او جامعاً لانواع العلوم والفنون . فجال فيها كلها مستدلاً برأيه مع انه لم يَرَ من الدنيا الاّ الزاوية التي وجد فيها ، ولم يتعلم الاّ الصرف والنحو واصول الفقه وما شاكل من العلوم التي لا توصلة الى ادراك لباب القرآن ، واقامة مدنية رشيدة تضاهي المدنية الحديثة . والمدنية الرشيدة الحديثة اساس واركان لم يكشفها الاّ المتأخرون ، تلك اساس موضوعة في الكتب المنزلة لم يتوفق الى كشفها المفسرون الاقدمون

رابع عشر — ان كتاب الله يجب ادراك المسلمين وغيرهم في الملبس الاصلح تأميناً لسعادتهم وسداً للفروق فيما بينهم في الدنيا . وان الملبس الاصلح هو الذي آثر العالم الغربي . وان العقل والدين برجحان البرنيطة على الطربوش ، كترجيحها السفور على الحجاب

خامس عشر — وجوب تلقي المسلمين وغيرهم من الامم على ام قواعد المساواة والتآلف تبعاً لاوامر سيدنا محمد والمسيح عليهما الصلاة والسلام وتعاليمها الجليلة المختفة في روحهما اختفاءً تاماً

سادس عشر — ان المسلم مأمور بأخذ الحكمة اينما كانت ، فهو مكلف ان يأخذ كل ما في الغرب والشرق من حكمة

سابع عشر — ان لاصلاح للشرق اذا بقي معتّى عن العقل بجموده وغروره ، ولم يحكم العقل ويستضيء بنوره ، ولم يعرف مزايا الغرب في مدنيته الحديثة واصوله الاجتماعية ولم يأخذ من الغرب كل ما صلح وتجدد ، ولم يلق عن عاتقه كل ما بلي وفسد ، محتفظاً بكل صالح

www.marefa.org

ولا يتم الصلاح والسعادة في العالم ما لم تتعارف فيه الشعوب والامم رجالاً ونساء ويتساووا مدنية وثقافة ورقياً فيتساووا التفاهم ويتساووا حقوقاً

وها انا ذا راقعة تحت من كتابي هذا الى مقام المفوضية السامي ، راجية ان تقبلوه بعطفكم العالي . ومَن أولى من محامل لواء المدنية والحرية والنور بعد الهد القريب لانقاذ المرأة المستضعفة المسلمة من الوهدة المظلمة التي أُلقيت فيها خلافاً لنصوص كتاب الله وسنة نبيه وحكم العقل وقواعد الاجتماع . ذلك — كما رجوت بندائي الى السلطات في كتابي — مع كل سلطة في الانتداب الفرنسي ان تدخل في امور الدين ، فتضغط حرية المسلمات في معتقدهن ، وبالمقابل الحرية الشخصية تأمينًا بتنفيذ القانون العالمي المسنون ، ومظاهر المجددين في الاسلام لتأييد اسباب الخير والرقي ، وحماية الحريات ، وتعميم الصلاح ، وتهذيب الاخلاق ، وتوثيق عرى الاخوة والتآلف والمساواة بين الناس . انما يهمل هنا تتطلب ويشتاق العالم الثمرات المعطرة الطيبة من وجود فرنسا بيننا طبرانيا معدية طيبا . وانني معتقدة انني بمثل ما كتبت اخدم امتي وبلادي وبنات جنسي اتم خدمة ، واسهل جمة الدولة المنتدبة في الاصلاح الذي تنويه والتعديت اليه

وقد رفعت ايضاً عدة نسخ اخرى من كتابي عسى ان المفوضية العليا ترسلها الى من تريد من المقامات والجمعيات في فرنسا وستمسراها حبًا لاخواننا واخواتنا المسلمين والمسلمات هناك ورغبة في الخير لهم

وتفضل يا حضرة المفوض السامي بقبول فائق احترامي لطفيه زين الدين

في ٢ نيسان سنة ١٩٢٨

www.marefa.org

الرسالة الثانية

في

كتاب الفتاة والشيوخ

الى فخامة المفوض السامي للجمهورية الفرنسية

في سوريا ولبنان وجبل الدروز

وبلاد العلويين

سيدي المفوض السامي

ألفت في السنة الماضية كتابي « السفور والحجاب » وهو « محاضرات ونظرات » مرماها تحرير المرأة والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي » . ونشرت بتاريخ ٢ نيسان سنة ١٩٢٨ باهداء بعض نسخ منه الى فخامتكم مع عريضة فيها ايضاح مبادىء الكتاب ومقاصده . فتشرفت بجوابكم المؤرخ في ٢٢ نيسان سنة ١٩٢٨ نمرة ٤٠٠ . ٥ » وهو كافة الاطمئنان

وقد اهديت ايضاً نسخاً من الكتاب المذكور الى الصحافة العربية في العالمين القديم والجديد ، والى عدد كبير من اعلام شيوخ المسلمين وكبرائهم وادبائهم ، وعلماء غير المسلمين وكبرائهم وادبائهم فكان له على اختلاف الاديان والمذاهب احسن تأثير في نفوسهم . وقد برهن على ذلك وعلى اعجابهم به ما قد كتبوه على صفحات الجرائد والمجلات وفي رسائلهم الخاصة الي

فما قالوا : ان كتاب السفور والحجاب هو كتاب الجهل الذي ستردد صداه الاجيال ، وبانه الكتاب الذي يستحق مكافأة « نوبل » ، وان مؤلفه يستحق وسام الاستحسان لاعتماده على كل من عالج في الشرق ما عالجت من المواضيع الاجتماعية بلاغة وسداد رأي وحسن اسلوب وهو مبادىء ، وقوة برهان ، وانها اطلقت العقل من عقاله بقوة بيانها وذادت الاباطيل عنه بحجتها وبرهانها ، وانها رسول تحرير المرأة ومبشرها ، وقائدة الاصلاح ورائدة لواء التجدد

في الشرق ، وانها جانبت الشرق نفسه ، من احدى اعظم : من العادات المهينة ، والتقاليد المتيبة ، لعقول ابنائه ، وان لخلها تمام التماثيل ، وانها قد احركت روح الدين واسراره ، واظهرتها بمظهر ، وان الانوار التي تنبعث من كتابها تغرق ظلمات الجهل والتعصب وتزيلها مهما كانت كثيفة ، وانه لو بعث اليوم غلادستون حيًا ورأى ما في كتاب السفور والحجاب لندم على قوله : « لا تستقيم حالة الشرق الا اذا رفع الحجاب عن وجه المرأة المسلمة وغطى بد وجه القرآن » ، وقال بدلاً من قوله ذاك : « لا تستقيم حالة الشرق الا اذا رُفع كل حجاب يحول على وجوه معاني القرآن ، حتى لا يبقى في الشرق حجاب على عقل ولا حجاب على وجه انسان » ، وانها قضت على الحجاب قضاء مبرمًا . ومثل ذلك من الكلمات الطيبة التي جمعت منها نادتج في « كتاب ذهبي » هو باب من ابواب « الثناء والتشويق » ، كثير

ولو جُمعت القطع التي اختارتها من كتابي المجلات والصحف العربية في العالمين القديم والجديد لاشرت اياها كقال على بالغة الكتاب ، وحسن الاسلوب ، وسمو مبادئه لكاد لا يكون في الكتاب ، وهو مؤلف من اربعمائة وعشرين صفحة ، قطعة غير مختارة

غير انه لا يخفى على فخامتكم ان كل دعوة الى الاصلاح والتجديد ، تصادف مقاومة من الجامدين على العادات والتقاليد ، او المحافظين عليها مع كونها مضرة بالمصالح العامة ، لما لم فيها من منافع . من اجل ذلك حاول فريق من الشيوخ الجامدين على القديم واتباعهم ان يعارضوا كتابي معارضة اضطرتني فالفت كتابًا جديدًا سميته « الثناء والتشويق » ، و « هو نظرات ومناظرات في السفور والحجاب ، وتحرير العقل ، وتحرير المرأة ، والتجدد الاجتماعي في العالم الاسلامي » . واني لأهدي نسخة منه الى مقامكم السامي . ولا احاول في رسالتي هذه ان اختصر ما في كتابي الجديد من نظرات ومناظرات في الامور المتنوعة التي تناولها ، وما اكثرها ، وكلها ترمي ، كما لا يخفى على كل قارئ مفكر ، الى اظهار ما في الدين القويم من جواهر الحياة العقلي ، والى معالجة او تلويم كل ما بدا لي من امراض اجتماعية ، واعوجاجات عقلية ونفسية وخلقية ، والى ازالة كل عائق في طريق الحق والرقي والارتقاء الانساني وسائر لوازم المدنية . تلك امور تعتقدها وبتعتقدها قادة الفكر ، اذا تمت تمّ لها ما تعتقد من استقلال وتحرير وحرية ، وسبيل ان ترتبط ، كما يريد الله تعالى وكما تقتضي المصلحة الانسانية العامة ، بمرمى الهبة الوثقى ، الغاية البشرية

اجل لا احاول في رسالتي هذه ان اختصر ما في كتابي الجديد من نظرات ومناظرات ، بل اكتفي بالاشارة الى بعض ما فيه ، وهو جزء قليل ما يحويه . والمأمول السامي المشرف على البلاد ان ينظر الى فهرس الكتاب ويترجم منه ما شاء

www.marefa.org

ولا بد لي من القول ، اني توسمت في كتابي الجديد بالادلة العقلية والدينية فأيد عين ما جاء في كتابي الاول من الامور التي اشرت اليها بعريضتي تلك فطالعكم في سبعة عشر بنداً . وندر من لم يسلم بعد الادلة التي ادليت بها في ذلك الكتاب بصحة مبادئ ، وبأن الحجاب الذي اعدّه السبب الاول ، لما في الشرق من حال ، ليس من الدين ، بل هو عادة عمت من قبل المسلمات وغير المسلمات ، ثم اخذت تزول في الفرنجة بمقتضى الزمان وتحمل بتبدل احوال البيئات

وقد تبين ان الصنف الراقي من الاسلام ، وهم السواد الاعظم ، من انصار السفور ، الما يمنعهم من المظاهر بذلك خوف التذليل من دعاة الحجاب

*

فما جاء في « الفتاة والشيوخ » ورأيت ان اشير اليه في عريضتي هذه ما يأتي ،

اولاً ، قال بعض معارضيّ من المشتغلين بالسياسة العلية فيما قالوا ، ان الطراباشي في كتابك « السفور والحجاب » وفي رسائلك الى المقوضية العليا ، الدولة المتحدة ، وتلويحك اياها بصيرة الحق ولمّ الحرية والمدنية والنور ، وحسبانك تحرير المرأة من القرات العلية المنتظر ان تقطعها و يقطعها العالم من وجود قرنسا بين ظهرانينا متحدة علينا ، وقولك انك بمثل ما كتبت تمهد سبيلها في الاصلاح الذي تنويه ، واشتدت اليه ، ان كل ذلك يضعف للتنا بوطنيتك ويريبنا في تودتك ، وان السواد الاعظم من المسلمين بمنأى عن انخداع بمثل هذه القرات ، وهم يعدون دبلوماسيتك دبلوماسية رياء ورياء ، وانه لولا خطابك السلطة والمقوضية العليا ، لما صادف كتابك « السفور والحجاب » ما صادف من المقاومة ، فقد اسأت بذلك من حيث اردت الاحسان الى قضية السفور

فقلت لهم فيما قلت ، بالبلاغة العربية ، التي ليس في مثلها باللغة الفرنسية ،

ايها السادة

ان السياسة لم تخطر لي في وضع كتابي وفي كتابة رسائلي على بال ، وما قصدت في خطابي السلطات والمقوضية العليا الاّ تأمين دفاعي عن حقوق المرأة ، بدفعي الى ذلك الاخلاص ومقتضى الحال ، وهي الغيرة لأمتي . ولكن المخطئين على السياسة ، الراغبين في الاستفادة الشخصية عن طريق الرياء ، او عن طريق السياسة الخرقاء ، يرون بعين الطمع والغرور كل امر عظيماً لما لم من مآرب ، او ثمرة لمطالب . فقد فعني واجب الدفاع الى خرجتي من دائرتي

www.marefa.org

دائرة الاجماع ، ولا أليث ان اعود اليها باسراع

ايها السادة ، انكم لم تدققوا في كتابي ولا في رسالتي ، ولو كان في نفسي شائبة رياء ، او مطالبة زلفى للدولة المتعدية لما جلست كتاب الله وسنة رسوله بقلبي وقلمي وفي ، وحملتها اليها والى العالمين ، مباهية بما في الدين المبين

اني لم اطلب من الدولة المتعدية في كتابي ولا في رسالتي تحرير المرأة المسلمة ، بل قلت لها ص ١٤ : « ان المرأة المسلمة لا تطلب منك ان تحررها ، فهي كما لا يخفى عليك حرة في كتاب الله ، حرة في اوامر رسوله ، حرة في الشريعة ، حرة في القانون ، حرة في مبادىء الاجماع العليا ، حرة في حقوق البشر المطلقة ، حرة مثل كل انسان ، حرة مثل كل امرأة . وانما تطلب ان يكون للقانون المسنون حياة بنفوذ لا مرد له ، ذلك صوناً للحرية الشخصية اذا حاول سلبها من يعتدون »

ايها السادة ، انتم تعلمون ان موقفي موقف دفاع عن المرأة ، ولا تخفى عليكم احوالنا الاجتماعية . فمن تريدون ان اطلب حفظ حقوق المرأة وحريتها الشخصية ، وقد راجع المحامون السلطة العلية في دمشق قاعدت عليها ، ولم تعبأ السلطات العلية لصوتها من اعتداء الافراد في دمشق وغيرها ؟ أو ليست المفوضية العليا مرجع ذلك الطلب ؟ هل في سوريا ولبنان من لا يرجع الى المفوضية العليا ، او الى وزارة الخارجية الفرنسية ، او الى جمعية الامم ، اذا اقتضى ذلك دفاعه عن حق براه غير مصون ؟

ان لم تصن المفوضية العليا الحرية الشخصية ، فليست بمعنى ام الحرية والمدنية والنور ، وليست مندوبة جمعية الامم لاصلاح ما يجب اصلاحه من الامور

ايها السادة ،

ان الرجال والنساء ، في الحقوق الانسانية سواء ، فلا تحرمون حقا من انسانيا في مراجعة السلطات صوناً للحرية ومعاً للاعتداء

إنا نراكم تتناظرون من جميع ارجاء البلاد الى ابواب المفوضية العليا افواجا ، وترى الطرق والبريد يحملان كل يوم من مراجعاتكم الى ساحلها امواجا ، امواجاً تحمل في طياتها ما تحمل حقاً و باطلاً واستغاثة واعوجاجا . ومع هذا كله نراكم قد اقمتم القيامة على الحياة المسلمة كأنها زعزعت اركان الدين الاسلامي ، ذلك لانها خاطبت السلطة في كتابها وكتبت رسالة الى المفوض السامي ، وهو كلمة حق اقتضتها الحال ويجدر بكم ان تجعلوها لكم منهاجا ، ولن لا تجعلوا

www.marefa.org

النهامة من اجل عقلها وترجحوا ترجيحها . ان حق المرأة المسلمة الذي تحاولون ، بكل ما تقولون، ان تحولوا من بعد ظهوره، دون امتداد نوره، سيمضي قريباً باذن الله و بمقتضى شرعه الانور، سراجاً في الامة وهاجا

ايها السادة ، ليس انا من اقيمت فرضا بصيرة الحق ولم الحرية والمدنية والنور، انما لقبها الاجيال، وقد شاهدت منها ما شاهدت من جليل الفعال والاثر المشكور، ولا ينكرُ الفضيلةَ على اربابها الا اصحاب الغرور. فلا تخشوا بيننا السفور، وما فيه من الخير الموفور، لاني اطريتُ انا ام الحرية والمدنية والنور، ولا تسعوا الى الاسفلال، بسياسة سلبية لا تحقق شيئاً من الآمال

فلم انكم تسعون عن اقطاف الثمرات الطيبة من الانتداب . ولكن المرأة التي تعقد المحامة المثلى برفع الحجاب عن بصرها وبصيرتها ترى انه ليس لها غنى عن اقتطاف ثمرات توافق شرع الله وشرع العقل من الحضارة والثقافة الصالحين اللذين عمّا في هذا العصر النوراني العالم الراقي . فبدلاً من ان تلوموها على خطابها السلطات العالية صوتاً لحريتها الخصبة ، تلك التي هي الحق الاول من حقوقها الشرعية ، لا تظلموها ، وحرروها بدافير من التسكم ، ولا تحصروا عنها النور والهواء وكلّ ما خولها الله اقتطافه من ثمرات لها فيها عز وجاه ، وأثبتوا لعالم انه ليس في الامة العربية من هم غلبةً في سبيل حياتها المثلى في سبيل مجرى الحق والعدل ، ومجرى الشرع والنور والعقل ، وفي سبيل الرقي والحضارة والحرية والمساواة . أثبتوا بافعالكم انكم انتم من هم اهل مهبط الوحي ومهد المدنية وانكم من يرفعون في زمانهم علما كما رفع اجدادهم في زمانهم ذاك من المدنية والثقافة الصالحين للزمان ابهر الاعلام واعلى الرايات ، وحينئذٍ حقّ لها بايبي مجالي الحق ان تعلن الى العالم اعلاناً ثابتاً ان الامة العربية من بدون ريبات وايباء وامهات، امةٌ حرةٌ رشيدةٌ لها مهابة سلطانها الحر الرشيد ، وهي في غنى عن غيرها من السلطات.

امّا الآن فيجب ان نعلم ان الانتداب اردنا ام لم نُرِد امر واقع ، ان امكن انكارُ وجوده ، لا يمكن انكارُ وجوده . ولا يتحقق رقعة الا اذا اتقى رفع الاسباب التي استوجبته في نظر جمعية الامم والدولة المنتدبة ، او إلاّ اذا أثبتنا بالوقائع والحالنا ان تلك الاسباب لا حقيقة لها ولا وجود

ان اولي الشأن السياسي في العالم القائلين بوجوب الانتداب عليها ، والذين يعترفون للمنابة من الحقوق العمومية ، يقولون ان المدنية الحاضرة وما تقتضيه من الرقي وتأمين الامن

www.marefa.org

واحقاق الحق بين الناس ، انما يرتكزان على اساس الحرية والاخوة والمساواة ، ويتكونان على قومنا العربي وجود هذه الاسس . فيجب لنا ان نظهرها بافعالنا واعمالنا اظهاراً حقاً يمنع الريبة والالتباس

اجل يجب لنا ان نظهر بافعالنا واعمالنا ، كما نضمر باسرارنا ، او نسر بضمائرنا ، أن بين ابناء الوطن ويبانو جميعاً على اختلاف المذاهب الدينية اخوة خالصة ، ومساواة تامة ، وان لكل من بنات الوطن كما لكل من ابنائه حرية في الاجتماع بالقلب والهواء ، وهو الحق الاول في الحياة يتمتع به كل حي كيفما شاء ، وان لكل منهم ومنهن حرية في الفكر والارادة والقول والعمل واللسان والقلم ، فيبحث عن الحقيقة التي يعتقدها ، ويدافع عن الحق الذي يراه ، وعن كل ما يرى او يعتقد ان فيه نفعاً للانسانية عامة ، وللقوم العربي خاصة — من ذلك سفور المرأة وتحريرها وفي نصف القوم العربي وأمه — ، وأن لكل منهم ومنهن حرية يسعى تحت لوائها الى توحيد قواعد الحياة والعادات والثقافة ، والى ازالة كل حاجز دون اختلاط الميلات ، والاخوة في الوطنية والانسانية ، لامكان التفاهم بينهم والتآلف والتآخي باحترام متبادل ، والى ازالة شوائب التعصب والتفرقة والتحاسد والتدابر والتباغض ، والى ازالة كل حائل دون تأليف قلوبهم صحيحة ، ووطنيتهم صحيحة ، باخوة صحيحة ، ومساواة صحيحة ، وحرية صحيحة ، وثقافة صحيحة ، وكل حائل دون نيل النساء حقوقهن ، ونيل الوطن والامة والانسانية خيراتهن

وعلى كل حال يجب لنا ان نسلم بان شجرة الانتداب الباسقة التي غرسها جمعية الامم بموجب المادة الثانية والعشرين من عهدها التي اقرها مؤتمر فرساي ، دانية القطوف لمن يقتطف ، ومن كان في ظلها لا بد له ان يقتطف من ثمارها ، فالمفوض السامي هو الامر ، المفوض السامي يقتطف ويرسل اليوغداء طيباً لروحه ، حتى اذا بلغت روح القومية أشدها بواسطة الفلاح ، الاخوة العالمية ، والمساواة التامة ، والحرية الحقيقية بانواعها ، فكراً وارادة ، قولاً وعملاً ، لساناً وقلماً ، وتمت الفتة برقي قومها وتهانو مقام الانتداب على حفظ شجرة الرشد والعناية بها فتعطي دائماً ثمرات طيبة شرعاً بين ابناء الوطن ويبانو جميعاً ، فالقومية المتحدة وتاريخها شاهد ، ولنا من الرجال رجالها الكرام مساند ، تُسَرُّ بما انتج غرسها وتنتهز عابها من خير ، وتدع الشجرة لاهلها مبدأ الاصول والفروع ، بانية الفار ، ويكتب لها الدهر علما من الفضل مثلما كتب لها على غيرها من اولئك من الامم حرية واستقلالاً كاملين

www.marefa.org

ايها السادة . بقدر ما تسارع الى تغذية الروح بكل ثمرة طيبة وتسارع الى ازالة الاسباب التي استوجبت في نظر اولي الشأن السياسي او جمعية الامم الانتداب ، تلك الاسباب التي يجب لنا ان نفهمها دون ان يساورنا الغرور ، الغرور الذي يحول دون سعينا الى ازالتها او الى اثباتنا فعلاً ان لا حقيقة لها ولا وجود ، بقدر ذلك نسارع الى نيل حريتنا التامة واستقلالنا الناجز الكامل . فهل انتم الى ذلك مسارعون؟ أم انتم بمثل ما علم وكتم وعلم عند ظهور « السفور والحجاب » ، مثبتون وجود تلك الاسباب ، ومثبتون الانتداب ؟ ان ذلك يعقله اولو الالباب .

اجل انكم ايها السادة المعارضون ، بمثل ما علم من معارضتكم للمبادئ الصحيحة ، وعدائكم لنشر روح المدنية ، وروح الشورى ، وروح الاخوة الوطنية ، وضغط الحرية ، وتكميم وتضييق التجنيد ، واصراركم على ظلم المرأة وفي ام العيلة البشرية ، تثبتون ما لا تريدون

ان السواد الاعظم من الامة العربية ليس دون غيره من الامم الحر المستقل نوراً ورشداً وصلاحاً وهدى . غير ان مثل اعمالكم واعمال امثالكم تشوّه ذلك النور ، فتُرمى الامة بالقصور ، ان القصور في الصدد القليل يجرّ ما يجرّ على الجمهور

اجل يعني لنا ايها السادة حيال الامر الواقع ، وفي الحالة التي نحن فيها ، ان نفقد الى الثبات الرشد سبيلا ، ونعرف لفرنسا وجمعية الامم أمّاً وأباً ، وان نقدّم لها ما يجب لها على الابناء ، ليقدّما لنا ما يجب على الاشياخ والآباء . فلا نكفرنّ لها ما عهدنا من الحب والصداقة والولاء حتوفا ، ولا نظهرنّ في حركة من حركاتنا ما يَعِيبُنا بغير الوفاء او ما يُعَنّي عقوقا . ان حبها ورضاها قبل نيلنا الثقة بالرشد وبعد نيلنا كامل الاستقلال ، لكالرئين لستمدّ منه نوراً جزيلاً في كل حال .

وانني معتقد اعتقاداً ثابتاً ، لا اظن ان السواد الاعظم في الامة لا يوافقني عليه ، أن امّ الحرية والمدنية والنور ، تُستمال الى ما تعتقد لامتنا من الامور ، بالوفاء والولاء والعواطف ، لا بالجفاء والعواصف . سلكنا الطريق القائل مرارا ، فلنسلك الاول فحقق الامر اعتبارا .

انه قد يكون أنّ سلوك الطريق القائل لم يؤتنا من الدولة المنتدبة بقدر ما امّلنا من ثمرات الارشاد ، ولم يؤتها منا بقدر ما أملت من ثمرات الاسترشاد ، وأنّ الطريق الاول يفضي الى حسن الختام ويقبض الخير على البلاد .

www.marefa.org

قال بعض الحكماء : لا تكن رطبًا فتُعصر ، ولا يابسًا فتُكسر .

وقال الشاعر الحكيم :

الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ هو اولٌ وهي المحل الثاني

اما الوطنيّة ، وقد حسبتم رسالتي الى المفوضية العليا من مضعفات الثقة بما في نفسي منها ، فليست الوطنية الحقة ذات الثمار الطيبة تلك التي يظهرها بعض الناس ، كل يوم في لباس . ليست الوطنية الحقة ما تظهرُ كما تظهرُ نوسٌ فزع او السهام النارية المركّبة بالوان تتراءى جميلةً للناظرين ، وتتلاشى دون نفع او ضرر يعدون . انما الوطنية الحقة ما كانت مستندة الى العقل والمنطق وبُعد النظر ثابتةً على اركانها من مثل خير وحق كالجمال العالي المكين ، وكانت مثمرةً اطيب الثمر ومنبعثةً ما في العرب من نخوة المبادئ وصحيح الثقافة ومكارم الاخلاق على مشهدٍ من جميع العالمين . بذلك تحرز الثقة العامة التي هي ظهير خيرٍ مبين ، وللاستقلال المنشود اقوى سند .

ان العاقل المخلص لأمّته يعمل بما يوحي اليه ضميرُه مستندًا الى العقل السليم ، ولا يعمل بما يوحي اليه الغرور ، او حبُّ الفتنة والظهور .

ان الغرورَ او تغريرَ العامة بما يوافق هواها ، حبًّا للظهور ، مِنّ وكلٌّ قادر عليه ، ولكن كثيرًا جرّ على الشرق الويل والثبور ، وقد قال الله تعالى « فلا يغرّنكم بالله الغَرور » .

ثقوا ايها السادة المعارضون ، انكم لستم افذّ غيرة وحرصًا على حرية الامة العربية واستقلالها ، من قادتها الذاتية في المجال نبلها بما تبتغي من الروح في اقوالها .

فلنبذ الهوى ولنتبع الصواب ، ولنرفع الحجاب عن الوجوه والالباب ، ولنبنِ على اساس الحرية والاخوة والمساواة اقوالنا واعمالنا ، ولنكيّف على مقتضى المدنية والعقائد الصحيحة أحوالنا ، ولنحرر الأمّ ، فحرّر الامّة ، وتم لها الاستقلال التام الكامل ورفع الانتداب ، على ان تذكّرَ امتنا فضلَ فرنسا التي لا تنسى الطلاسمُ لها ، كلما ازدهت البلاد العربية وجاد ارضَها السحاب .

*

ثانيًا ، قالوا معارضي فيما قالوا ان كتاب المنير والحجاب دسيسة سياسية ، وان حرية النساء والامور المجتمعية التي ادعو بها اهل الاسلام اليها من الاساس الاستعمارية ، يقصها الاجانب في قلوب النساء توسلاً الى فتح سورية . وخاطبوا المدام قائلين « حطار ايها المسلمات ، ان

www.marefa.org

سفوركن واخلاطكن اتحاد والرجل ، بحرمان امتكن الاستقلال ، وبقائها مقيدة من الذل في اغلال »

فأثبتُّ فسادَ نظرائهم في ذلك ، وقلت مدللاً بالدليل والبرهان ان الحجابَ واسعباد المرأة ، وضغطَ الحرية ، وحجرَ العقل ، ومنعَهُ من البحث في المعقولة ، ووضعَ النفوس تحت الكابوس ، والجمودَ على التقاليد والعادات الضارة ، وتعويقَ التقدم ، والامتناعَ عن التعرض العالم العاثر في طريق الثقافة والمدنية الصالحين ، ان ذلك من دواعي الاستعمار

وقلت لهم فيما قلت :

يا اهلا من اهلي الاسلام ، حرام ان تنضغط حياتكم في الاوهام . ليس في الكتاب ، تلك القطعة من النسيج الخلاب ، قوةٌ تحمي الدمار من الدمار ، والدمار من الاستعمار . ان تلك القوة التي تحوكونها للكتاب ما نُسجت الا على منوال اذهانٍ ضعيفة ، فهي وهم ما تنسجون

ان الاستعمار لا يُبقى على اساس الحق والعدل والحرية ، انما ذلك يُبقى على اساس الجور والباطل والعبودية

الاستعمار ليس لبلاد شعبها من نساء ورجال حرٌّ قلبًا وقالبًا ، ظاهرًا وباطنًا ، فكرًا ولسانًا

ليس الاستعمار لبلاد شعبها من نساء ورجال حرٌّ في فكره وقوله وارادته وعمله ، بأنف من ان يستعبدَ بعضُهُ بعضًا فلا تضغط فيه حرية

الاستعمار ليس لبلادٍ شعبها بأنف ان يُذِلَّ إحدى يديه ، ويُعنِّي إحدى عينيه ، ويهلك إحدى رئتيه ، أو يكسر أحد جناحيه ، وترى نفسه العزيزة كُلَّ قيدٍ ذُلًّا الا ما شرع الله وما سنَّ القانون

الاستعمار ليس لبلادٍ شعبها يبقى حياته على قواعد المساواة والاخوة والحرية والاحترام المتبادل

ذلك هو الشعب الذي نشدتُه في كتابي ، ذلك هو الشعب الجدير بالاستقلال المنشود ، هو الجدير بذلك في نظر الانتداب ، وفي نظر جمعية الامم ، وفي نظر كل دولة او جمعية حرة في الوجود

فسلّموا ايها الرجال الى امهاتكم وبناتكم واخواتكم وزوجاتكم حقوقهنَّ ، وليسلّم بعضكم الى بعض حق الحرية في الفكر والارادة والقول والعمل ، باللسان والقلم ، تكونوا ذلك الشعب

ان النساء في الامة احدى القوتين ، ويدٌ من اليدين ، وعينٌ من العينين ، بل جناحٌ من

www.marefa.org

الجناجون، ولسنَ دونكم حرصاً على الاستقلال ، ولا اختلاف في الأمة الاّ في الطريق المؤدي اليها او الطريق الضّال . ولنا في الغرب الماثر عبرة ، حيث لا أمّة مستعبدة لان الأمّ فيه حرة .

ان حقوق المرأة يا اخواني مساوية مساواةً تامة لحقوق الرجل بلا زيادة ولا انتقاص . يأمر بذلك الدين والشرع ، والعقل والطبع . وايّ حقٍ في الدنيا اقدس من حق التمتع بامتلاء والدور ؟ وهل ذلك يا تُرى يتمّ في الحجاب ام في السفور ؟

تأملوا ايها السادة من الانكليز في الافغان عبرة . انهم ، على ما شاع وذاع ، قد اتخذوا الحرية الدينية وسيلةً ، فالقوا الفتنة في تلك البلاد مقاومةً لتحرير نسائها وتجدّد اهلهـا ، مع انهم قد سبقوا دول الارض جميعاً في تحرير نسائهم ، وجعلهنّ مساويات للرجال في الحقوق المدنية والسياسية كلها . ان ذلك ما اختاروا لانفسهم وفعلوا في بلادهم فعلوا بالجناجون ، واعتلّوا بالقرآن ، وصاروا اكثر الدول مدداً ، ولوسعها ظلاً ، ومن اقواها يداً

تأملوا ايها السادة ، أوَ ليس بلاد الافغان يقاوم الانكليزَ فيها العبدَ والستور ، اي الحرية والنور ؟

تأملوا ، أوَ ليس من اسباب تحكم من استعمار نصف العالم الاسلامي واربد ، ما تولّد من حرية المرأة فيهم من رقيّ وحياة وتجدّد ، وما يولّد حجاب المرأة في الاسلام من تأخر وتجمّد ؟

انهم يشركون وما لنا ندرك ان تحرير المرأة في الاسلام وما نُتج من حياة ، قضاء على سلطتهم المبسوطة على نصف عالمنا ويزيد . ولولا ثقة في مستمدة من وقائع التاريخ ما في فرنسا المتحدية علينا من النبل والفضل ، وحُسن القصد ، وحبّ الخير الانساني ، والصلاح العالمي ، ومن نجم لها مشهود طريقَ التضحية بمنافعها الخاصة إيثاراً للمنافع العالمية والحقوق الانسانية العامة ، لخشيت مقاومةً منها في تحرير المرأة المسلمة لا تكون مقاومتكم يا ايها المعارضون عجائبها شبهاً مذكوراً

فلا تقولوا ، لا تقولوا ، ان قصد هذه الفتاة المسلمة لتحرير المرأة وسفورها دسيسةٌ سياسية يخفّ بها الاجانب من قلوب النساء سوريه ، أو أنّ حرية النساء من الاساليب الاستعمارية . لا تقولوا ذلك بل قولوا ايها السادة انّ أهلَ المرامي ، وجلّ مرامي في كتابي ذلك وكتابي هذا ، احداثُ قوى جديدة تمنع كمالَ الاستعمار ، ان يجول في الافكار ، فتأملوا في ما تقول

www.marefa.org

الفداء ، وتركوا الجمود انه من مظاهر الموت ، وأقبلوا على الجدد ، ان في التجدد الحياة .

وقلت لهم : ليس قصد الفتاة المسلمة الاسمى إلاّ ان تحرّر المرأة المسلمة ضمن دائرة من شرع الله يحيادها ، وتطلق سافرة بنواها وعقلها ورشادها ، على طريق الرصانة والفضيلة والكمال ، فتنقّى العقول من الاغلال ، ومن كل عقال ، وتُصلح بما تبثّ من الصلاح والصواب والخير ، ما فسد من قلوب الرجال ، ونظام العمال . رامية بذلك الى ان تكون لمثل الاعلى ، في الحياة العقلي ، لعهود قومها العربيّ الى سؤدده العالي ومثلهِ الرفيعة تحت راية الحرية والاستقلال .

وقلت لهم فيما قلت : لا تقيسوا على الزمان الماضي ولم يقع فيه اجتذاذنا حجاب النساء ، من السبق في مضمار العلاء ، فذلك قياس مع الفارق . لان نساءنا قد أُجدِدْنَ احياداً اشدّ من جمود رجالنا . اما نساء غيرنا من الاقوام فقد نهضنَ وانتضمنَ عربات سافرات مقبلات الى رجالهن المجدين في ابهاض اقوامهن ، بألقنَ قوة عظيمة ينبغي لنا ان لا نُحرَمَ مثلها اذا نشدنا العز والمنعة والحياة العقلي

وذكرت لهم ما استشرفته من مستقبل المرأة الشرقية قائلة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : النساء شقائق الرجال . فنساء العرب مسلمات وغير مسلمات ، سيبرزنَ جميعاً في نهضة النساء العالمية كما مُنّ حرائر ، مقطوراتٍ مع الزمان سافراتٍ في طريق الحياة والنور مع الجمل السافر ، مطرحاتٍ كل ما تحوّن وبكرهنَ من دواعي الخفوق وسوانح الرقي ، مقتنياتٍ جاذبات لاسترجاع ما اضاعَ رجالهنّ من المجد الغابر . فأسر بكم ايها السادة ، ان تتفكّوا من قيود العادة ، وتشوا واثقين ، ولا تعرقلوا مسعاهنّ

*

ثالثاً : البت فساد نظرات المعارضين في المبشرين ، وفي الاخاء الانساني ، وفي المدارس الاجنبية ، وقد شبّهوا تعاليمها بحمة العقارب ، وسمّ الافاعي ، وقلت لهم فيما قلت :

ينبغي لنا ان نحترمَ الناس لمبشرونا ، ولن لا نذكر ما لهم من فضائل لئلا يذكروا ما لنا من فضائل

حرام علينا ان ننكر فضل المدارس الاجنبية وجلّ الراقين مما قد استقوا من ينبوع فضلها حتى ارتووا

www.marefa.org

الغربُ اخذ منا مبادئ العلوم ، وليس الغربُ بمنكر ذلك . فهل يجوز لنا ان ننكر ما نأخذه عنه من العلوم ، بعد ان أوصلها الى ما أوصلها اليه من الرقي ؟

ناشدتكم الله ايها السادة لا تصدّوا المسلمين والمسلمات عن طلب العلم ، ولا توصدوا دون رغبتهم بابا . فقد أمرنا نبيّنا صلى الله عليه وسلم ان نطلب العلم ولو في الصين ، ولم يحثّ من العلم ولو في الصين ان يُجلّ بالدين

انشئوا لنا مدارس في الشرق وطنية ، تتسع ابناءه وبناته وتطيب مقاماً ، وتماثلُ المدارسَ الاجنبية فيه وفي الغرب رقياً ، رقياً في العلم والفنّ وانتظاما ، تتعلق بالأولى والقلب بها مشغوف ، وتترك الثانية بمعروف

ان خير الطرق في زماننا لانشاء خير المدارس أو مدارس الخير للعرب والاسلام ، طُرقٌ نرُ في المدارس والجامعات الاجنبية العظمى حيث تحرّر العقول وتنطلق في سماء واسعة تترقى من العلم الحديث ، مستمدةً بكل ما وهب العقلا من الاوى النورانية ، متطهّرةً من جراثيم امراض مجيدة او عادات بالية في الشرق بلية

اننا اذا سلكنا مثل تلك الطرق فهمنا معنى الوطنية ، ومعنى القومية ، وعرفنا ما للمرأة من حق وقوة وتأثير في الهيئة الاجتماعية ، وادركنا ان انوار المدنية التي تُنيرُ سبلَ الخير والسعادة والرقيّ ، ليست الاّ اشعةً من نور العقل الحر ، او من انوار الكتب المنزلة الالهية ، والسنن الصحيحة النبوية ، وسرنا جنباً الى جنب مع العالم الراقي فانشأنا مدارسَ وجامعاتٍ وطنية ، فيها من الصلاح ما نبغي عليه صروحاً من المجد المشيد للامة العربية

سقى الله اليوم الذي نرى فيه المدارسَ الوطنية ، تُغنينا عن المدارس الاجنبية

*

رابعاً : أثبتُّ فساد نظرات المعارضين واوهامهم السيئة عن السفور وانتائه ، ودحضت زعمهم أنّ السفور والحجاب من الامور التي يجب ان يستقلّ في مجال البحث والجدال فيها المسلمون ، واستنكرت منهم غير المسلمين او محاولتهم ان يدسوا من حرية القلم في ذلك البحث او الجدال ، واستنكرت جداً مقابلتهم كلّ من آثرَ وآزرَ من الاسلام مبدأ السفور بالسباب والشتائم وبكل ما ساء من الاقوال . أثبتُّ ودحضتُ بالادلة الكثيرة واستنكرتُ وقلتُ فيما قلت :

أنى يقول شاعرُ العلماء والشموع المعارضون ان السفورَ هو الفحش والفجور ، وانّ حكمة

www.marefa.org

النقاب ، معرفة الانساب ، وانّ الحجاب هو الذي يُعرِّف الغلامَ أباه ؟

أنسوا ما في العرب وما في قريش من غريب الانساب وصحيح الانساب ، وإلهامهم وجدانهم ما كُنَّ في حجاب ؟

أنسوا ان نبيّنا محمداً ، اشرف الناس أمّاً وأباً ، والانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام ، والخلفاء الراشدين والصحابة الكرام ، اولئك الذين عُلوا نسبا ، أنسوا انهم كلهم كانوا من ابناء السفور ؟

أنسوا حوّاء امّ البشرين وخديجة ام المؤمنين ، ومريم العذراء تلك المطهّرة المصطفاة ، او خيرَ الامهات . أنسوا أنهنّ كُنّ سافرات ؟

وقلت : أفي يقولون انّ النساء اللواتي لا يلبسن النقاب منّ الشياطين ؟

ايجهلون الى هذا الحد الفضيلة في جدّاتهم وفي نساء العالمين ؟

الا يؤلم العرب والاسلام ان يظهر فيهم من يقول مثلَ هذا القول الشائن الذي يَجُبّ العقل والسمع ، ويستكرهه الطبع ، ويَمجّه الذوق المرن ؟

وصرخت عالياً : ايها السادة لا تتركوا الروية وامعنوا النظر ، وزنوا الكلام ، وتأملوا في من تصيبون ، من حيث لا تدرون ، بما ترشقون من السهام .

وقلت : ليس من الحقيقة والواقع أنّ غير المسلمين في هذه البلاد قد تدهوروا بعد الحجاب من الفقر في واد ، انما الحقيقة والواقع ، أن ذلك قد رَقّمهم من الادبية الى الآدمية ، وبدّل فيهم النور من الظلام

وقلت فيما قلت : اناشدكم الله ايها السادة ، لا تخذلوا الادباء ، اذا اردتم للامة العربية الغناء ، ولا تتكروا المظالم اذا شئتم العدل ، ولا تمنعوا العلماء والاطباء الاجتماعيين ان يعالجوا ما فيه خير للمجتمع . فليس علم الاجتماع وطبّه مختصين بالمسلمين . وإلا فمن في وطنٍ مجتمعٌ مشتّتٌ ليس له من علوّ المقام ما يجب ان يكون له بين العالمين

أوَ ليسا في الوطن الواحد اخوةً والحوادث مصائبهم في الدنيا مشتركة يقوى الواحد بقوة الآخر ويضعف بضعفه ؟

أوَ ليس للأخ ان يَهُبّ لنجدة اخيه ، فيجتث عن خير له يراه ؟

أوَ لم يعلن المسلمون أن الحجاب ليس الا عادة اجتماعية ظنّ الناس انها من الدين ، وهي ليست من الدين ؟

www.marefa.org

وهل يجوز أن يمنع احدٌ من الامة العربية، من الجسد في عادة اجتماعية، كانت عامة لجميع افراد الامة ثم تركها فريق منهم مسلمون وغير مسلمين، وفي مستمسكاً بها فريق آخر مسلمون ايضاً وغير مسلمين ؟

أوَ ليس ذلك مخالفاً لما تعلمه من الوحدة القومية العربية، والاخوة في الوطنية ؟

أوَ لا يؤخر ذلك خطواتنا نحو ما ننشدهُ من الاستقلال التام الكامل ؟

الا يُدرك اولئك الذين يكافحون القوة العربية، أنهم بمثل ما يعملون من منع الناس عن العمل بمقتضى الاخوة، ومن مقاومة الحرية الشخصية والفكرية والقلمية، يخالفون ما تعلمه الامم دليلاً على انها لم تبلغ الرشد وعلى وجوب الانتداب عليها ؟

وكيف تتحد الاستقلال والحرية، وبعضها يحرم بعضاً اياها، ويألف بعضها من ان يأتيه شيء عن طريق البعض الآخر ؟

واذا اعتقد المصري المشترك في الوطنية معنا، ولا يمكنه الانفراد عنا، أن تحرير المرأة يجرُّ الزاوية لرقيّ الامة العربية، وبلوغها ذروة الحرية، أوَ ليس له ان يطلق فكرهُ وقلمه في سبيل اقناع الامة لتحرير المرأة توسلاً لنيل ما ينشد من استقلال وطنه ورفعة قومه، وقد قال صلى الله عليه وسلم «حبُّ الوطن من الايمان»

أوَ لنا ان نمنع قلمة عن الجري في طريق يعتقدُ أنهُ يفضي الى الحرية والوحدة والاستقلال ؟

أوَ لنا ان نهدده ونقول بمثل ما يريد السادة المعارضون ان يهددوه به من القول، ويقيدوه من اغلال ؟

أوَ لنا ان نمنعهُ عن الجهر في عادة الحجاب، وكثيرٌ من نساء في كثير من الاقطار العربية ما زلنَ يرسفنَ في اغلال تلك العادة ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من رأى الحقَّ وسكتَ عنهُ فهو شيطانٌ أخرس»

أوَ لنا ان نُسكتَ المسيحيَّ عن الحق ونجعلهُ بالرغم منهُ شيطاناً أخرس ؟

أوَ تريدون ان تستبدوا بعقول الناس واقلامهم كما استبددتم بنسائكم، وتحولوا وجوه الخير من حرية العقل والقلم كما حجبتم وجوههن ؟

وقلت :

اجتنبوا صدمة المجددين في الاسلام الغيور عليهِ غيرةً رشيدةً حسنة، ولا تجبروا على الفضول

www.marefa.org

والافكار لئلا تحجّر ، ولا تستعبدوها فيثرّ الاستعباد استعبادها ، وليس أضرّ بالاسلام من ذلك . ان ذلك يفضي بالبلاد ، الى الاستعمار والاستعباد

إقدروا المرأة الادبية فهي الجديرة بالقدر ، وشجّعوا على الادب ، فهو الخليق بالتشجيع . اما المرأة والتشجيع في عكس ذلك فما يخالف روح الاسلام ولا يوافق مصلحة امة

كيف تأملون الصلاح وتعدم المذهب ومكارم الاخلاق ، اذا لم تقدم ذلك بالسباب والشتائم والتكفير وغير ذلك من الافتراء والاختلاق ؟

الا تدرون انه لو سلك من ابناء الامة مخالفوكم في الرأي طريقكم فكفّروكم لاختلاف بينكم وبينهم اجتهاداً كما تكفرونهم ، لأمسينا جميعاً في نظر العالم الحديث الهيا كفارا ؟

الا تدرون انه لو قابل مخالفوكم رأياً في الامور الوطنية والقومية طعنكم بمثله ، لأمسينا جميعاً في نظر العالم خائنين ؟

الا تدرون ان مخالفيكم رأياً في الامور الاجتماعية ، لو قابلوا المثالب بالمثالب لنزع العالم منا جميعاً صفة الصلاح ؟

لا تغتروا باضطراركم اهل الرأي والادب ، وهم السواد الاعظم من الامة ، الى الصمت والانزواء ، او الى الظهور في مظهر الرياء ، فذلك ليس من مفاخر العرب ، وليس من مصالح الاسلام

الا تدرون ان كل حركة تأتونها خنقاً لروح الحرية تؤخر استقلال المجموع اعواماً ؟

الا تعلمون ان الله تعالى قد امرنا في كتابه العزيز ان لا نجادل الا بالتي هي احسن ؟

الا تدرون ان العقل يريد نشاطاً اذا جال في جوّ حرّ طليق ، وان الحقيقة لا ترى في ابهى جمالها الا اذا لمعّ البحث عنها بلا قيد ، والتفتيش من كل طريق ؟

كيف تريدون ظهور الحق ولا يلمع برقه الا من تصادم الافكار الحرة ؟

لا تصغوا للعقول ما دامت تحت الكابوس . ان الدين الاسلامي كافل للانسان حريته وراحته ورأيه في الحياة ، فلا تعاملوا الا بمقتضاه

حكموا العقل الحر وتأملوا في نتائج ما تقولون وتعملون ، لئلا يورثكم الذي تدّعون ، والغيرة التي بها تتفاخرون ، الندم والوطن العزيز ، مثل ما أورث المرأة من ضعف وغير ذلك مما يحزن القلوب ان يكون

www.marefa.org

وقلت :

ان على العلماء حتما ان يظهروا للسادة المعارضين واجب الاتحاد وسرّ الوطنية بأسباب الخير لهم ولأمتهم ويجلوا للعيون الضرر الذي ينتج مما يقولون ويعملون ، فيجتنبوا ما يجرّ عليها الانتقاد من كل واد ، وما يبعدنا عن سبيل المنى والمراد

*

خامساً : أثبتُّ انه لا يتم الصلاح في المرأة والمجتمع الا اذا وُحِّدت الثقافة ، وكان اجتماع الجنسين من أسباب تكمل الجنسين عقلاً وادباً ، حتى يعمها الخير والنور والحق ، ولا يبقى بينهما من فرق ، وحتى يعرف الرجال انهم خلقوا كما قال الله تعالى ، هم والنساء من روح واحدة ، ويعترفوا ان بين الرجل والمرأة ، كما شرع الله سبحانه ، حقوقاً متبادلة ، فلها عليه مثل ما له عليها من الولاء ، وعليها مثل ما عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويعترفوا ويعترفوا ان العيب للرجل عيبٌ للمرأة ، والعيبَ للمرأة عيبٌ للرجل ، والفضيلة للرجل فضيلةٌ للمرأة ، والفضيلة للمرأة فضيلةٌ للرجل ، وانه ليس لأحدٍ من الفريقين ان يسيطر على الآخر ، وقد منع الله سبحانه رسوله نسمة من السيطرة بقوله تعالى « فذكّر انما انت مذكّر لست عليهم بمسيطر ... وما ارسلناك عليهم وكيلا »

*

سادساً : ان معارضيّ قد أسندوا بوجه الاجمال ودون اقل تفصيل ، الى كتابي السفور والحجاب مقاصد غريبة عنه ، فاثبتُّ اني ما كتبتُ فيهما الا محاولةً وسيلةً ، مع من حاولوا وأملوا ، نزع الافراط والتفريط الاجتماعيين ، من المتدينين الشرقية والغربية ، وتألمتُ مذ نشأتُ في الشرق حديثة نهاري مدنية الغرب رقيّاً في كل ما يكمل الناس رغدَ العيش ونعيم الحياة ، وهذبَ الآداب والنفوس الى المثل الاعلى . مدنيةً لا لغوها بواعث الفتن ودواعي المفاسد من مثل الخلاعة والتبرج بانواعه ، وتقصير الثياب الى حدّ يُشاب ، وتعرية مثل الصدور والظهور والاعضاد ، ومن مثل الرقص المفسد ، وارتياد محال الفساد ، مستندةً في ذلك الى الروح الطاهر في كتابنا والى كتب المثالة المحفة جوهرًا أتمّ اتفاق ، وليس فيها الا ما يؤول الى الطهر ومكارم الاخلاق ، وتعميم الخير والنور والحق للرجال والنساء على السواء ، وتوطيد عرى الاخوة باحترام متبادل بين الناس ، خالية من شوائب التعصب والحسد ، والغدر والتباغض ، وليس فيها الا ما يؤول الى اطلاق العقل في امور الدنيا من الاغلال والقيود ، وتخليصه من

www.marefa.org

ربقة العادات والجمود ، والا ما يؤول الى هذه المفاسد والفتن ، والى كل ما يحول العدل والمساواة والحرية في حصنٍ حصينٍ . ذلك هو المثل الاعلى الذي يعقده المدنيةُ من قادةِ الفكر حتى تتمّ وحدةُ العالم في ثقافةٍ واحدة ، وحضارةٍ واحدة .

أثبتُّ ذلك وقلت لهم فيما قلت :

ايها السادة كان علم الفوز الفائق ، او علم المدنية والرقيّ ، في يدِ الشرق ، فهبط الغرب بجهلٍ نساك ، واختطف ذلك العلم ورفعه في سمائه ، فكاد الشرق كلّه يضوي تحت لوائه .

ان الغربيين اليوم لسابقون ، وهم بحكم الظهور الماضي باتباع الأصلح اردنا ام لم نرد ، شعرنا ام لم نشعر ملزمون لاحقون . ومن لم يَسر منّا ويجم مع تيّار المدنية يضمحلّ ويتلاشى .

ليس من مصلحتنا ان نتمرّد او نتغضب على الغرب القاهر حرداً او غضباً يلقينا في وهدةِ التعصب البعيدِ من شرقيّتنا او المبعدِ من تقاليدنا في اسرِ تعاليمه ، جاعلين لمنّ من الحجاب أغلالاً ، ومبقين على ظهر الشرق اثقالاً ، بدلاً من ان يكنّ جناحاً له يطير به الى المثلِ الاعلى ويتعالى .

ان مثلَ هذا الحَرَد والغضب لا يجدي فتيلاً ، ولا يشفي غليلاً ، بل ان في ذلك للشرق العارا ، اتعاراً يضحك منه من يضحكُ ويبكي من يبكي سرّاً او جهارا .

ايها السادة :

لا قوة تمنع العالم في اضمحلاله ، وانصالهِ باسباب مواصلاته ، ان يتّبع كلّهُ مدنيةً موحّدةً متشابهةً واحدة ، في ما يرى العقلُ البشريُّ انها اصلح المدنيات . وأيّ عقلٍ غير سقيمٍ يتصور أن أتباعَ السفورِ في الغرب والشرق يتحولون في عادة الحجاب وتقليد الجمود ، حتى تعمّ العالم وتتمّ الوحدة العالمية ، موئلةً فيها عُرى الملل البشرية ؟

انا العقل السليم يجزم بان روح التجدد ونور السفور سيمّان بني الانسان في كل مكان ، فلا يجوز لنا التفريط في غرض الزمان ، والتأخر عن قافلة تجد في طريق الرقي وتسير مع النيران . بل علينا ان نلتحق وننعمَ بها مؤيّدين كل ما اصلح ، ومصلحين كل ما فسد ، لعلّنا نسترجع عَلَمَ الفوز ، ونعود في السباق التكلي أقربَ من كنّ من يسابقنا الى المثل الاعلى ، ولصبح في الحضارة والثقافة النسمةَ المثلى . ذلك هو الأحرى بالقوم الذين وعيي سنة النبي ، والكتب المنزلة الجلّى .

*

www.marefa.org

سابعًا : أثبتُ فساد نظرات المعارضين في الاجتهاد الشرعي ، وأثبتُ ان للمتأخرين والمتأخرات ، كما كان للمتقدمين والمتقدمات حقًا فيه ، وأن المرأة أولى من الرجل بتفسير الآيات التي فيها واجبها وحقها ، بل أثبتُ ان ذلك ، وهي المخاطبة في تلك الآيات ، ليس من حقها بل من حقها .

وأثبتُ فيما اثبت ان الشرائع السماوية لا تؤدنا تقييداً ثابتًا الا في واجباتنا نحو خالقنا سبحانه وتعالى ، ذلك في العبادة والايمان . وأما امور دنيانا وقواعدُ حياتنا والمعاملاتُ والعلاقات بيننا ، فهي تابعة بمقتضى تلكم الشرائع لحكم العقل وتحوّله بمقتضى العصور والزمان . فليس القصد الالهي في احكام المعاملات الدنيوية الا الخير لعباد الله في الدنيا . وطرائقُ الخير في الدنيا المتقلبة ، تختلف بحسب الازمنة المتحوّلة . فلأهل الازمنة ان يذهبوا ما شاؤوا من المذاهب في سبيل خيرهم ونفعهم ، لا يعوقهم عن السير في ذلك السبيل ، نصٌّ كان فيه لغير زمانهم خيرٌ كثيرٌ ونفعٌ جليل . وحيث يتمّ الخير والنفع للناس في الزمان الذي هم فيه ، يتمّ القصد الالهي . الله يريد الخير واليسر والرفق للعباد . وما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن : « انتم اعلمُ بامور دنياكم » و« كلُّ ما يراه المسلمون حسنًا فهو عند الله حسن » و« ما حرّم الله شيئًا الا اباحة للضرورة » و« العقل شرعٌ من داخل ، والشرع عقلٌ من خارج » وما اجمع عليه العلماء والفقهاء : « انّ الاحكام تتغيّر بتغيّر الازمان » . وقد لقّبَ العقلَ بعضُ الفرق الاسلامية بإمام الزمان . أثبتُ ذلك بالادلة الواضحة واستنتجتُ ان الشرائع السماوية ، وقد فصلت امور الدنيا المتحوّلة عن امور الدين الثابتة ، منبعُ الخير والرقي والحرية ، وأنها لا تقفُ ، إنْ لم يوقفها مثلُ معارضيّ من الناس ، دونَ سَيرِ المدنية .

*

ثامنًا : أثبتُ صحة الاحاديث الشريفة التي استندتُ اليها في قدْرِ العقل وحريّته ، وفي حق المرأة وصلاحها ، وفي فرض العلم عليها ، وفي الاخاء الانساني ، والصلاح العالمي ، ودحضت بالدليل ما ادّعى المعارضون من صحّةٍ للاحاديث التي رووها خلافًا لما أثبتُ ، او اتيانًا لنقص عقل المرأة ودينها ، وعيبًا لخلقها وخَلقها ، مثل « النساء ناقصاتُ العقل والدين — عوراتٌ عيّاتٌ — حبالاتُ لإبليس — يفُلْنَ ويُدبِرْنَ بصورة شياطين — لولاهنّ لعُبدَ الله حقًا حقًا — لا تعلموهنّ الكتابة — وويل للمسلمين منهنّ ، وويل لهنّ من المسلمين . »

وأثبتُ فساد قول الترمذيّ الحكيم « ان المرأة اذا تعلّمت الكتابة توصّلت بها الى اغراض

www.marefa.org

فاسده ، وتوصل الفتنة اليها على وجه أسرع وأبلغ وأخدع من توصلهم اليها بدون ذلك »

وقلت فيما قلت : ان الاحاديث التي استدها المعارضون الى الرسول تخالف كتاب الله ، واما الاحاديث التي استندت اليها فموافقة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم في خطبة له « ايها الناس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار... كل ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فانا قلته ، وما جاءكم عني يخالف كتاب الله فلم أقله »

قلت ذلك فيما قلت ، وأثبت ان ديننا مدين للمرأة . كيف لا ، وقد امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نأخذ نصف الدين عن امرأة : عن عائشة رضي الله عنها ؟ كيف لا ، وعن أنس انه قال : « ان حذيفة قدم على عثمان . فقال : يا امير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل ان يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل الى حفصة أن ارسلي الينا بالصحف نحققها ونردها اليك. فارسلت بها. فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير ، وسعد بن العاص ، وعبد الله بن هشام ، فنسخوها حتى اذا نسخت الصحف في المصاحف ، أرسل الى كل أفق بصحف ، وأمر بما سوى ذلك من القرآن في كل صحيفة او مصحف أن يحرق »

أثبت هذه الحقيقة ، وقلت للشيوخ المعارضين ، انكم ترون أن المرأة هي التي قد جمعت أو حفظت لنا كل ما انزل الله من آيات ، وقد وثق في صدر الاسلام بما جمعت وحفظت من الصحف فكان من مجموعها مصحف القرآن ، واما الصحف التي كانت محفوظة عند بعض الرجال فلم يوثق بها فاتهمتها الثقات .

وقلت لهم : ان في ذلك عبرة لمن يعتبر ، تعلمت فضل النساء وايمانهن ، وكمال دينهن ، ووجوب الثقة بهن ، والاعتماد عليهن ، وأن أكثر الخير ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهن .

*

تاسعاً : قلت انه لا يتم الخير للعرب والمسلمين ، الا اذا تحررت المسلمات واشتركت النساء في الانتخاب والحكم النيابي واشتراع القوانين ، واثبت ان ذلك مما يحكم به العقل ، ويقرره علينا الدين ، وان حرمان النساء المساواة في الحرية ، وفي الحقوق المدنية والاساسية والسياسية ، من الاسباب المانعة لانتشار الخير والعدل والحق ، وان الرجال الذين استأثروا بسن قواعد الاجتماع ، والحكم النيابي والاشتراع ، ما كانوا معصومين .

www.marefa.org

اجل ان الرجال ما كانوا منصفين ، اذ انهم قد اكتفوا بفضلهم عن امور المدن الغايية المحرزة المفضلة بهم ، فبدلوا منها كل ما شاؤوا تبديله ، وما زالوا رغبة في الاستبداد بالنساء يعتذرون ما يعلق بهن او ما يفضلهم عليهن ، من امور المدن الغاية ، فكانوا بذلك الاكتساء والاستئثار بالنور والضوء ، جائرين على النساء ، ومانعين الارتقاء ، والسير في طريق الفضل والعلاء . ولا تخفى ما عليهم بذلك من التبعة ، حتى يجيء نبأ الحكمة المكنونة في شرع الله ، ونبأ شرع العقل وما تفي الزمان ، كل فريق في امور الدنيا والمدن ، بين المساواة والمساواة ، كما ثبت نبأ الحكمة المكنونة في ذلك الشرع الانور ، كل الفروق في المعاملات والحقوق الاساسية والسياسية بين الاحرار والارقاء ، وبين الاسلام وغيرهم من العالمين .

وقلت ،

اجل ان حرمان المرأة ان تشترك في الحكم الشعبي مناف لامر تعالى ان يشترك الرجال والنساء في المبايعة والانتخاب ، كما يثبت ذلك في «النور والحجاب» ومناف لمقتضى العدل وحكم العقل ومصلحة الامة ، وفيه اوضح دليل وأجلى برهان على استبداد الرجل ابتداءً أتى بصدرة عن رؤية الحكمة ومعرفة الصلاح والخير .

قال رسول الله صلى عليه وسلم « إمرأة صالحة خير من الف رجل غير صالح » . فكيف يجوز ان يشترك في الانتخابات لحكم الشعبي ألف رجل غير صالح ، ولا تشترك فيه صالحة ؟

وقال صلى الله عليه وسلم « اكثر اهل الجنة في النساء » وما قال في المرأة النبي الحكيم سليمان ابن داود عليه السلام « تمتع فيها بالحكمة وفي لسانها سنن المعروف ، تصنع خيرا لا شرا كل ايام حياتها » . فكيف يجوز ان تحرم الامة تلك الحكمة وذلك الخير ؟

أنى يجوز العدل والعقل ومصلحة الامة ، أن يشترك في انتخاب مدبري شؤونها ، ومنظمي بنيانها ، ومراقبي ادارتها الكناسون ، والزبالون ، والمزبلون ، والكوريون ، والحشاشون ، وسياس الخيل ، ومن هم على شاكلتهم من الرجال ، اولئك الذين لم يتجاوز لهم التكمل العقلي طلاقة والنفسي ، ولم يألفوا ذوقهم الانتظام والجمال . ولن تحرم الاشتراك في ذلك العائلات الفاضلات ، والاديبات المهذبات ، من السيدات او ملكات البيوت ، اولئك القوالي تكمل عقلاً وادباً ونساءً ، وجمع الجمال والانتظام جزءا من ذوقهن ، او صورة من نفسهن ؟

أنى يجوز العقل السليم المقرر ان تحرم الاشتراك في الانتخاب حاملات الشهادات العلمية

www.marefa.org

والفنية ، ومديرات المدارس ودور التربية ومعاهد العلم والادب ومعلماتها ، ورئيسات المؤسسات الخيرية والجمعيات النهضية واعضاؤها ، ويشترك فيها اولئك الجهلة من خطّائين ، ومن لم تنل انفسهم مكانة علمية وأدبية تمكنهم من الطموح الى الجلوس في حضرتين . ان الحكم النسبي المبني على اساس فاسدة لفاسد . ولذا نرى النور فيه ضئيلا ، والنور قليلا . بقي القرن الذي تجرّد فيه المرأة تجردا ، وتشترك اشتراكا وتأويلا وتفسيرا ، فيفيض الحكم النسبي على الشرق والوطن ما يرجو لها المصلحون الغيور والوطنيون الاحرار عدلاً وخيراً ونورا .

هذا ما رأيت ، يا سيدي المفوض السامي ، فأشرت اليه في عريضتي هذه من النظرات والملاحظات المنوعة في كتابي الجديد ، راجية من العهدة المنتدبة ان تعطف في بعض الصفحات العالية على المرأة الشرقية المظلومة خلافاً لبعض الشرائع الاهلية ، ولمقتضى العقل والعدل والمدنية

وتفضل يا حضرة المفوض السامي بقبول فائق احترامي

بيروت في تشرين اول سنة ١٩٢٩

نظيرة زين الدين

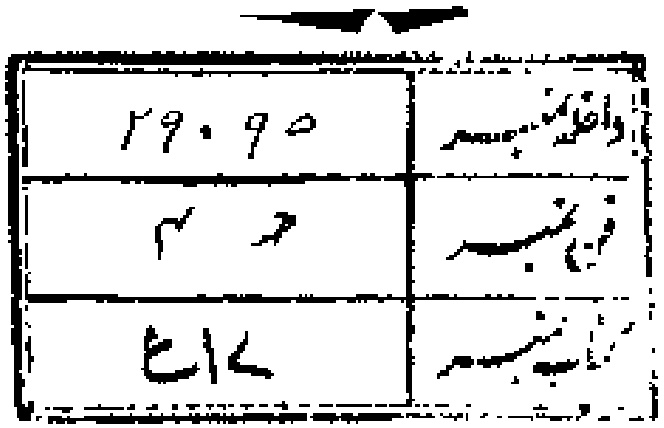

www.marefa.org